# إزالة الإشكال في حديث أبي ذر (رضي الله عنه) في صحيح البخاري (رحمه الله)
## كتاب بدء الخلق "باب صفة الشمس والقمر بحسبان" وتصادمه مع العلم الحديث كما يزعم البعض

قاسم عبدالله سليمان

# إزالة الإشكال في حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيح البخاري رحمه الله
## كتاب بدء الخلق "باب صفة الشمس والقمر بحسبان"
## وتصادمه مع العلم الحديث كما يزعم البعض.

**بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا، وبعد**

فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق حديث لأبي ذر رضي الله عنه قال فيه:

" قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس، تدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها أرجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى :

**"والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم".**

والحديث أشكل على البعض بسبب أمرين إثنين وردا في الحديث :

الأول قوله صلى الله عليه وآله وسلم " فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش " توهم البعض بسببه أن المعنى تذهب الشمس عند غروبها فتخرج عن مجراها، حتى تستقر تحت العرش فتسجد، ثم ترجع إلى مجراها وتكمل المسير ( منهم إبن العربي ).

الثاني قوله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله تعالى : "والشمس تجري لمستقر لها".

توهم المتوهمون بسببه أن قوله فذلك عائد على قوله تحت العرش، في الحديث فحملوه على تأييد ما توهمه إبن العربي من خروج الشمس عن مجراها.

**والجواب على هذا الإشكال لابد له من مقدمات خمسة**

المقدمة الأولى: ما معنى السجود في اللغة؟

الثانية: أين يكون العرش؟ وأين تكون الشمس من العرش؟

الثالثة: ما معنى تجري لمستقر لها في هذه الآية؟

الرابعة: إذا لم يكن قوله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك عائد على " تحت العرش "، فعلى ماذا يعود؟؟.

الخامسة ماذا يقول العلم بالنسبة للشمس ومجراها؟

أما المقدمة الأولى في معنى السجود فنجد في كتاب لسان العرب لأبن منظور :

سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض.

وسجد : خضع قال الشاعر " ترى الأكم فيها سجدا للحوافر"

ومنه سجود الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولاخضوع أعظم منه.

وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد، ومنه قوله تعالى:

**"تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون".**

أي خضعا متسخرة لما سخرت له.

وقوله تعالى : " والنجم والشجر يسجدان "

وكذلك قوله تعالى : **"ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض"**

محملةٌ في القرآن طاعته لما سخر له، وليس هذا بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله، ونحو ذلك تسبيح الموات من الجبال وغيرها من الطيور والدواب كما قال تعالى:

**"وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" "لسان العرب"**

فالسجود إذن هو الخضوع والطاعة لما سخر له وأمر به

قال تعالى : **"وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره"**

أما المقدمة الثانية وهي أين يكون العرش وأين تكون الشمس من العرش؟

فقد قال إبن الجوزي: " فأين هي من العرش؟ والجواب أن الأرضين السبع في ضرب المثال كقطب رحي، والعرش العظم ذاته بمثابة الرحي، فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش، وذلك مستقرها ".

وقال إبن كثير: " ليس فيه (أي في الحديث المشار إليه) أن الشمس تصعد إلي فوق السموات حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه ".

وروى أبو داود وغيره بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث الأطيط أنه قال:

" إن عرشه على سمواته لهكذا، وقال بأصبعه، مثل القبة "

وعن إبن مسعود في كنز العمال الحديث رقم ١٥٢٤٣:

" الشمس والقمر وجوههما إلى السماء وأقفاؤهما إلى الأرض، يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض "

وعن إبن عمر في نفس المصدر الحديث رقم ١٥١٩٨:

"الشمس والقمر وجوههما إلى العرش وأقفاؤهما إلى الدنيا".

ولهذا قال إبن كثير "وهي أينما كانت فهي تحت العرش، هي وجميع المخلوقات".

أما المقدمة الثالثة في معنى قوله تعالى: "تجري لمستقر لها".

قال إبن كثير لمستقر لها فيه قولان:

الأول مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات لأنه سقفهاوالثاني أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: لمستقرلها أي لوقتها ولأجل لا تعدوه

لقوله تعالى: "**وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى**".

وإذا تأملنا تفسير الرازي لقوله تعالى: لمستقر لها وجدنا أن الآية تستوعب المعنيين الزماني والمكاني وعلى عدة وجوه، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، الذي إستوعب كل الإكتشافات العلمية بالنسبة للشمس في الفاظ قليلة.

يقول الفخر الرازي: وقوله "لمستقر"، اللام يحتمل أن تكون للوقت كقوله تعالى: "أقم الصلاة لدلوك الشمس".

وقوله تعالى : "فطلقوهن لعدتهن".

ووجه إستعمال اللام للوقت، هو أن اللام المكسورة في الأسماء لتحقيق معنى الإضافة، لكن إضافة الفعل إلى سببه أحسن الإضافات، لأن الإضافة لتعريف المضاف بالمضاف إليه كما في قوله: دار زيد، لكن الفعل يعرف بسببه فيقال: "اتجر للربح واشترللأكل".

وإذا علم أن اللام تستعمل للتعليل، فنقول وقت الشيء يشبه سبب الشيء، والأمور متعلقة بأوقاتها فيقال خرج لعشر من كذا، (وأقم الصلاة لدلوك الشمس)، وعلى هذا

فمعنى الآية " تجري الشمس وقت إستقرارها "أي كلما إستقرت أمرت بالجري فجرت".

ويحتمل أن تكون اللام بمعنى (إلى) أي إلى مستقر لها، وتقريره هو أن اللام تذكر للوقت، وللوقت طرفان إبتداء وإنتهاء، ويؤيد هذا قراءة من قرأ " والشمس تجري إلى مستقر لها " .

وعلى هذا ففي ذلك المستقر وجوه :

الأول : يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة

الثاني : السنة.

الثالث : الليل أي تجري إلى الليل.

الرابع : أن ذلك المستقر ليس بالنسبة للزمان بل هو للمكان وحينئذ ففيه وجوه:

الأول: هو غاية إرتفاعها في الصيف وغاية إنخفاضها في الشتاء إي تجري إلى أن تبلغ ذلك الموضع فترجع.

الثاني: هو غاية مشارقها فإن في كل يوم لها مشرق إلى ستة أشهر ثم تعود إلى تلك المقنطرات، وهذا هو القول الذي تقدم في الإرتفاع، فإن إختلاف المشارق بسبب إختلاف الإرتفاع.

الثالث: هو وصولها إلى بيتها في الإبتداء.

الرابع: هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس.

ويحتمل أن يقال لمستقر لها أي تجري مجرى مستقرها، فإن أصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس، فالشمس تجري مجرى مستقرها.

ثم قال: وقوله ( ذلك) أي قول الله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم، يحتمل أن يكون إشارة إلى جري الشمس أي ذلك الجري تقدير الله، ويحتمل أن يكون إشارة إلى المستقر أي ذلك المستقر تقدير الله (إنتهى)، (وهذا أيضا إعجاز في اللفظ القرآني فالإحتمالان صحيحان وكلا الأمرين من تقدير العزيز العليم).

المقدمة الرابعة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث : فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها، على ماذا تعود كلمة فذلك إذا لم تكن عائدة على قوله حتى تسجد تحت العرش.

نقول: هي عائدة على ما قبلها مباشرة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : فتطلع من مغربها، وقبلها "يقال لها أرجعي من حيث جئت".

فيكون المعنى فذلك مستقرها الزماني الذي تنتهي إليه أي الأجل المسمى، حين تؤمر عنده بالطلوع من المغرب، لقوله تعالى: في سورة الرعد: " وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ".

ومستقرها المكاني الذي تنتهي إليه عندما تبلغ أجلها كما ثبت علميا.

وهذا يوصلنا إلى المقدمة الخامسة وهي قول العلم بالنسبة للشمس ومجراها ومستقرها الزماني والمكاني. فنجد أن العلم أثبت علميا وبالحساب أن الشمس غير ثابتة في مكانها إنما هي تجري في إتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون بإثني عشر ميلا في الثانية. "في ظلال القرآن لسيد قطب".

ويقول العالم الفرنسي الذي أشهر إسلامه، في كتابه

**" THE BIBLE, THE QURAN AND SCIENCE "**

يقول العالم موريس بوكال:

" The Quran reminds us several times that :

" وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى "

" ( GOD ) subjected the sun and the moon : each one runs its course to an appointed term. "

In addition to this, the idea of a settled place is associated with a concept of a destination place: (المستقر المكاني)

"والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم"

" The sun runs its course to a settld place, this is a decree of the Almighty, the full of knowledge "

ويقول " Settled place is the translation of the word (مستقر) and there can be No doubt that the idea of an exact place is attached to it ". (المستقر المكاني)

"Like other stars whose transformations have been recorded until they reached their final stage, it is possible to predict an end to the sun". (المستقر الزماني)

The second verse referred to the sun running its course towards a place of its own. Modern astronomy has been able to locate it exactly and has even given it a name, the Solar Apex: the solar system is indeed evolving in space towards a point situated in the Constellation of Hercules ( alpha lyrae ) whose exact location is firmly established; it is moving a speed already ascertained at something in the region of 12 miles per second.

## (المستقر المكاني) (The Solar Apex)

من هذا كله يتضح لنا أن الآية فيها اعجاز عظيم، فكلمة مستقر، دلت على حقائق علمية عديدة، بمعانيها المحتملة جميعها فالمستقر بمعنى المسار في فلكها المقدر لها حقيقة علمية، وبمعنى المستقر الزماني والأجل الذي تنتهي إليه حقيقة علمية، وبمعنى المستقر المكاني الذي تسكن فيه يوم القيامة حقيقة علمية أيضا فالآية إذن هي الكفيلة بتفسير الحديث، وليس الحديث هو المفسر للآية كما توهم إبن العربي عندما قال: "ولا مانع أن تخرج الشمس عن مجراها فتسجد ثم ترجع".

لأن هذا القول يتعارض مع الآية بجميع تفاسيرها، ويعارضه العلم الحديث ويفنده، وتعارضه الآية:

"وسخر لكم الشمس والقمر دائبين "أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة ولهذا قرأ إبن مسعود وإبن عباس قوله تعالى: لا مستقر لها".

"والشمس تجري لا مستقر لها" أي لا سكون لها ولا قرار بل هي سائرة ليلا ونهارا لاتفتر ولا تقف ولا تمتنع عن سيرها في مسارها المقدر لها.

فهي إذن لا تستقر تحت العرش في مكان بعيد عن مسارها كما توهم إبن العربي.

ونحن عندما نخطيء إبن العربي لا نقصد أن خروج الشمس عن مسارها مستحيل على الله، وإنما نعني أن الشمس يستحيل عليها أن تخرج عن مجراها الذي قدره الله لها، وأخضعها له، لقوله تعالى: "كل في فلك يسبحون".

وقوله تعالى: "**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**" دليل على خضوع الشمس والقمر والليل والنهار، بل وسائر المخلوقات للقوانين التي وضعها الله تعالى، فلا تستطيع أن تحيد عنها بإرادتها، إلى يوم القيامة، فيشاء الله لها ما يشاء عند بلوغها أجلها.

وإذا عدنا للحديث وتأملناه على ضوء هذه المقدمات، وما فيها من تفسير لكلمة السجود بمعنى الخضوع والطاعة، وتفسير للعرش أين هو، والمعاني المختلفة والمحتملة لكلمة مستقر، وتوضيح المقصود بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (فذلك قوله تعالى) على ماذا تعود، وتبيان ما يقوله العلم الحديث بالنسبة للشمس ومجراها ومستقرها، نصل إلى معنى الحديث الصحيح، ويزول الإشكال بإذن الله، ويكون معنى الحديث:

أن الشمس في غروبها تذهب أي تسير في مسارها وتجري في مجراها حتى تسجد أي حتى تبقى خاضعة لتقدير الله الذي قدره الله لها، وطائعة لما أمرت به من المضي في جريها متسخرة لما سخرت له، سابحة في فلكها الذي لا تحيد عنه، تحت العرش، في سمائها، لأنها أينما كانت في هذا الفلك فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، فالعرش محيط بالسموات والأرض ومن فيهن وما فيهن، فالعرش سقفها كما قال تعالى: "**وسع كرسيه السموات والأرض**"، وتستمر في خضوعها للإذن الإلهي والأمر الرباني وهو قوله فيؤذن لها، إلى يوم القيامة، فإذا جاء أجلها المسمى لها، لا يقبل منها سجودها أي لا يسمح لها بالإستمرار في مجراها التي كانت خاضعة له من قبل ولا يؤذن لها، ويقال لها أرجعي من حيث جئت أي تؤمر من قبل الله تعالى بتغيير مسارها بشكل معاكس للأول، فتعود من حيث جاءت، فتطلع من مغربها، فذلك المكان الذي تتوقف فيه عن مسارها الطبيعي، في ذلك اليوم الموعود الذي تنتهي فيه الشمس إلى أجلها المسمى والمقرر لها، فتعود لتطلع من مغربها، فذلك المكان وذلك الزمان هو قول الله تعالى "**والشمس تجري لمستقر لها**".

فنجد بأن الحديث، تماما مثل الآية، قد إستوعب المستقر المكاني والزماني، ويتبين لنا الإعجاز في إختيار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة فذلك، بدون أي تحديد لفظي يتبعها اي بدون أن يزيد عليها مثلا "فذلك المكان تحت العرش هو قوله تعالى"، ولو فعل لكان الحديث قاصرا على المستقر المكاني دون الزماني، وهذا مما يؤيد أنه

صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!! وهنا تظهر فائدة قولنا أن كلمة فذلك تعود على ما قبلها مباشرة لتستوعب المستقرين معا.

ومثلها قول الله تعالى: "ذلك تقدير العزيز العليم"، كما قال الفخر الرازي أن كلمة ذلك تحتمل أن تكون إشارة إلى جري الشمس، أو إلى المستقر، (بشقيه المكاني والزماني)، ونحن نقول بل هي إشارة إليها جميعها في إيجاز معجز بليغ، فيكون المعنى أن ذلك الجري، وذلك الأجل (المستقر الزماني) وذلك المكان الذي تنتهي إليه الشمس والذي سماه العلم Solar Apex (المستقر المكاني)، كل ذلك تقدير العزيز العليم.

وبقى مسألة أخيرة بالنسبة للحديث أثارها العالم الفرنسي المسلم موريس بوكال في كتابه حكم بسببها على الحديث بأنه مشكوك في صحته، وهي قوله أن الحديث يشعر بأن الشمس هي التي تدور حول الأرض، وقد أثبت العلم الحديث أن العكس هو الصحيح، وهذا التعارض بين الحقائق العلمية وبين الحديث يجعل الحديث مشكوك في صحته فهو يقول:

"This passage nevertheless contains an allegory which implies the notion of a course the sun runs in relation to the Earth: science has shown the contrary to be the case. The authenticity of this hadith is doubtful".

وجوابنا عليه إن كان هذا الشعور بسبب قوله صلى الله عليه وآله وسلم أنها اي الشمس تذهب فتسجد ثم تعود، وكأن الشمس هي التي تولي عنا ذاهبة، وتعود إلينا قادمة، مما يشعر بأنها هي التي تدور حول الأرض، فهذا الشعور خاطئ، لأن قولنا الشمس تذهب أو تغيب أو تغرب، وتشرق وتطلع وترتفع، كل هذه المصطلحات على سبيل المجاز ألا ترى أن أهل العلم أنفسهم يستخدمون مصطلح الشروق sunrise والغروب sunset مع أنهم يحسبون ساعة الشروق بدقة وكذلك ساعة الغروب، وهم في حساباتهم يعتمدون على الحقائق العلمية الثابتة عندهم من دوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس، ومع ذلك فهم يقولون شروق الشمس وطلوعها، وغروبها ومغيبها، ومغيبها هو ذهابها عن أبصارنا، فإن لم يكن هناك حرج في إستخدامهم لهذه الألفاظ مع أنهم أصحاب الإكتشافات والحسابات الدقيقة، فكيف يكون هناك حرج في قول الرسول عليه الصلاة وآله والسلام أنها تذهب وتعود.

فالشمس تبدو لنا وكأنها تشرق علينا ونحن في أماكننا لا نتحرك، وكذلك إرتفاعها وغروبها، فالمسألة نسبية ولذلك صلح التعبير عنها عند العامي والعالم، بهذه الألفاظ مجازا.

ولم يقتصر إستخدام هذه الألفاظ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا على علماء الفلك والطبيعة وحدهم بل القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يستخدم مصطلحات المغرب والمشرق كما في قوله تعالى: " حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية (وفي قراءة حمئة). وقوله تعالى: "**رب المشرقين ورب المغربين**".

قال العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري في كتابه "تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان " في تفسير قوله تعالى: " وجدها تغرب في عين حامية" قال:

"قال حكماء الإسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كروية في وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب، وأن الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك، وأيضا قد وضح أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض بمائة وست وستين مرة تقريبا، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض. فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هناك، أعني في طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربي في الماء، كما أن راكبا في البحر يرى الشمس تغيب في الماء لأنه لا يرى الساحل، ولهذا قال تعالى: "وجدها تغرب" ولم يخبر أنها تغرب في عين. ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية، وأيضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الأسود ثم قال: " أما قوله ووجد عندها قوما، فالضمير عائد إما للشمس وإما للعين وذلك أن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس " إنتهى كلام العلامة النيسابوري.

فلا تعارض اطلاقا بين الحديث وبين الآيات، بل توافق وإنسجام، كما أنه لا تعارض بين الحديث والآيات من جهة وبين العلم الحديث من جهة أخرى، بل توافق وإنسجام كاملين كما بينا في مسألة المستقر المكاني والمستقر الزماني للشمس وخضوع ذلك كله لتقدير العزيز العليم.

نختم بملاحظة ذكرناها بالنسبة لقراءة من قرأ "**والشمس تجري إلى مستقر لها**"

وقراءة إبن عباس (رضي الله عنه) "والشمس تجري لا مستقر لها".
فنعقب على ذلك بأن القراءة الأولى وإن كانت صحيحة المعنى إلا أنها لا تفيد إلا حقيقة علمية واحدة (وهو المستقر المكاني).
وكذلك قراءة إبن عباس "لا مستقر لها" تفيد حقيقة علمية واحدة أيضا وهو أن الشمس مستمرة في جريها لا تفتر ولا تسكن.
أما القراءة المعتمدة والمثبتة في المصحف "لمستقر لها"، فهي أفضل القراءات على الإطلاق لما فيها من إستيعاب لجميع الحقائق العلمية من زمان ومكان.

والله تعالى أعلى وأعلم

وأعز وأجل وأعظم

**وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأكرم وعلى آله وصحبه وبارك وسلم**